مراجعات

سميح سمارة ، العمل الشيوعي في فلسطين
الطبقة والشعب في مواجهة الكولونيالية
بيروت ، دار الفارابي ١٩٧٩

مراجعة سهيل عامر

لما كانت الساحة الفلسطينية تعيش اليوم مرحلة هي في غاية التشابك والتعقيد والمصيرية ، فمن الصعب فهم هذا الحاضر بكل ملامحه وإبعاده ، بكل نجاحاته وانتكاساته ما لم نرجع الى التاريخ لنسلط الأضواء على تجاربه ولنستخلص منه الدروس علها تساهم بشكل افضل في تحديد أسباب الانتكاسات وتوضيح أبعاد النجاحات وتصبح بالتالي جهداً يساهم في دفع حركة التحرر الوطني الفلسطينية والعربية الى الأمام .

والمحاولة التي بذلها الباحث التقدمي الفلسطيني سميح سمارة في كتابه الصادر عن دار الفارابي والحامل عنوان « العمل الشيوعي في فلسطين . الطبقة والشعب في مواجهة الكولونيالية » هي بمثابة اسهام جدي في هذا الاطار وفي هذه المعركة .

ان الكتابة عن الحركة الشيوعية في فلسطين تكتنفها مخاطر شتى ، وتتطلب من صاحبها التسلح بالرؤية الموضوعية المتأنية والمنحازة لمصلحة القضية والشعب ، وعدم التسرع في استخلاص الاستنتاجات السياسية التي قد تترك في الحصيلة العامة انعكاساتها السلبية التي لا يتوخاها هذا الباحث أو ذاك . كما تتطلب منه الشجاعة والجهد والسعي الدائب للوصول الى الحقيقة . فالكتابة في هذا الموضوع هي بحد ذاتها مخاطرة ، كون تاريخ هذه الحركة يتميز بخصائص وتعقيدات كثيرة ما زالت تعيشها الساحة الفلسطينية حتى الآن . والمراجع حول تاريخ هذه الحركة ، عدا كونها قليلة جداً ، فإن معظمها موجود في حوزة ايد معادية غير أمينة « انكليزية وصهيونية » هذا من جهة ، ومن جهة اخرى ما زال يدور حول تاريخ الحركة الشيوعية الفلسطينية نقاط اختلاف كثيرة ، فهناك مداخل متنوعة ومختلفة لعدد من الباحثين يحاول تناول تاريخ هذه الحركة كل من زاويته وفي ضوء مصلحته .

فهناك من انطلق من ان الحركة الشيوعية في فلسطين تكونت في اطار الاستراتيجية العامة للمشروع الصهيوني ، ولم تستطع بعد ذلك خرق الجدار الصهيوني الذي طوق تحركاتها وجعلها هامشية وغير مؤثرة في الجماهير اليهودية . وهناك من رأى فيها امتداداً للحركة الاشتراكية العمالية اليهودية وللجناح اليساري في حزب بوعالي تسيون وقيمها على اساس ذلك بوصفها الحركة الأكثر جذرية في التعبير عن مطامح العمال اليهود والعرب ، كما فعل مثلاً ماير فلنر وماهر الشريف . في حين حاول آخرون ان يسودوا تاريخ هذه الحركة وتعمدوا ان يضخموا سلبياتها معتبرين اياها كياناً غريباً على الساحة وهؤلاء الاخيرون هم منظرو الفكر القومي الشوفيني من عرب وصهيونيين ومستشرقين غربيين برجوازيين .

وثمة باحثون يشكلون تيارا لم يستكمل كافة معالمه بعد ، يبدأون من حيث ابتدأ فلنر والشريف وامثالهما ، محاولين تناول تاريخ الحركة الشيوعية في فلسطين بموضوعية ، بحيث تتجنب تقييماتهم لها عنصري الدعاية التبريرية او التشهير المعادي . ومن هؤلاء الاستاذ سمارة